إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثالثة – العدد الحادی عشر – خریف ۱۳۹۲ش/أیلول ۲۰۱۳م
صص ۱۸۳ ـ ۱۷۱

العلاقة بین الموتی فی "مقبرة رستم" فی "بهمن‌نامه" ومذهب میترا

ایرج مهرکی*
لیلا خزل**

الملخص

یعتبر فکر الولادة والموت من الأفکار التی رافقت البشریّة منذ العهود الأولی، حیث تطرّقت إلیه الأدیان والشعائر ومختلف المذاهب الفلسفیّة وحاولت تقدیم تفسیر واضح له أو الإجابة علی التساؤلات المطروحة حوله. لقد أدّت أشعّة الشمس الحیاتیّة إلی ظهور مذهب عبادة الشمس، حتی أنّها أدّت إلی دفن الموتی بطریقة لا یفقدون معها ارتباطهم بالشمس. ومن أکثر الأجزاء إثارة فی قصیدة بهمن نامه، وصف إیرانشاه لمقبرة رستم وجثامین الرستمیّین؛ حیث دفنت جثامینهم بطریقة استثنائیّة. ونظراً لطریقة دفن أفراد العائلة الرستمیّة فی هذه المقبرة، فضلاً عن بعض الأسباب الأخری، یحتمل أنّ أفراد تلک العائلة قد اعتنقوا مذهب میترا. سوف نتطرّق فی هذه المقالة إلی دراسة العلاقة بین دفن الموتی فی مقبرة رستم ومذهب میترا.

الکلمات الدلیلیة: الموت، دفن الموتی، مقبرة رستم، بهمن نامه.

---

*. أستاذ مساعد بجامعة آزاد الإسلامیّة فی کرج، إیران.
**. خرّیجة جامعة آزاد الإسلامیّة فی کرج، إیران. Leila.khezel@gmail.com
التنقیح والمراجعة اللغویّة: د. فاطمة برجکانی
تاریخ الوصول: ۱۳۹۱/۱۰/۱۱ تاریخ القبول: ۱۳۹۲/۵/٤

المقدمة

الموت نهاية لا مفرّ منها للحياة فى العالم الفانى، لكن رغبة الإنسان فى طول العمر والخلود أدّت إلى عدم اعتبار الموت فى هذه الدنيا نهاية للحياة من قِبل أغلب سكّان العالم؛ فكلّ قوم ينظرون إلى المرحلة التى تلى الموت بناءً على معتقداتهم. إنّ موت الإنسان فى هذه الدنيا حادثة تماثل الوقائع التى تتوقّف فيها عجلة الحياة عن الدوران فهى مرحلة عابرة تشبه الولادة والبلوغ والشباب والكهولة والشيخوخة، لكن اجتياز كل مرحلة من المراحل الآنفة الذكر فى هذا العالم أمر ملموس، أمّا بالنسبة إلى المرحلة التى تلى الموت فلا توجد فى متناول يد الإنسان أيّة تجربة حسّيّة تتعلّق بها. وقد أدّت هذه الظاهرة المجهولة والمخيفة فضلاً عن غريزة الخلود لدى البشر إلى الاهتمام بجثمان المتوفّى ومكان دفنه حيث يحظى بقيمة معنويّة خاصة بالنسبة إليهم.» قام البشر فى العالم القديم بتحويل القبر إلى مكان مقدّس ثم انتقلت العبادة والتوقير من القبر إلى المعبد؛ لأنهم كانوا يذهبون إليه لتكريم المعروفين والكبار من الموتى والأشخاص الذين اختارهم الله والأشخاص المباركين والمقدّسين والأبطال وزعماء القبائل.» (دلاشو، ۲۰۰۷م: ۱۰۱)

تشير منظومة بهمننامه الشعريّة إلى وجود مقبرة العائلة الرستميّة فى مكان عظيم كان يحظى باهتمام تلك العائلة. والدخمة[۱] (دخمه بالفارسية) «عبارة عن مكان استخدم منذ عصر الأفيستا حتى العصر الحاضر تحت مفهوم البرج المرتفع الذى توضع عليه جثامين الموتى بالقرب من الطيور، بينما يندرج المعنى الرئيسى لها تحت مفهوم "كومة الحطب" التى تحرق عليها تلك الجثامين.» (بنونيست، ۲۰۰۷م: ۱۹) (ولعلّ هناك تقارباً فى المعنى بين مصطلح الدخمة "دخمه بالفارسيّة" بمعناه الأصلى ومصطلح "داغمه" والذى يعنى الحرق).

أما فى الماضى البعيد، فقد كان للدخمة تعريف خاصّ بكلّ قوم من الأقوام. ويبدو

۱. عبارة عن أبراج ذات شكل دائرى على قمّة تلّة أو جبل منخفض فى منطقة صحراويّة نائية بعيداً عن التجمّعات السكّانيّة عادة تستخدم لدى أبناء الديانة الزرادشتيّة عند الوفاة حيث يوضع جسد المتوفّى فى أعلى البرج حتى تأتى الطيور الجارحة وتأكله. وقد استخدم هذا المصطلح كذلك بمعنى المقبرة فى هذه المقالة.

أنّ الزرادشـتيّين كانوا يطلقـون مصطلح الدخمة على أبراج الصمت (برج خاموشـان بالفارسـيّة)، فكانوا يحفرون حفرة فى وسـط البرج وبعد أن تأكل الطيور والحيوانات الأخرى جثث الموتى ولا تتبقّى سـوى العظام يرمونها فى تلك الحفر. ويظهر أن عظام جثامين العظماء والمشهورين لم تكن ترمى فى مكان واحد مع عظام الناس العاديين، بل كانوا يضعونها فى أماكن خاصّة. ويقول بنونيست بأنّ الزرادشتيّين أحياناً كانوا يتركون عظام الموتى "العوامّ والخواصّ" فى تلك الأبراج دون حفر الحفر ورميها فيها.

تقـع تلك الأبراج عادة بعيـداً عن المدينة فى مكان مفتوح بدون سـقف «كأبراج الصمت فى مدينة يزد» لكنّها ذات جذور تاريخيّة أقدم من عهد الزرادشـتيّين؛ فقد كان بنـاء تلك الأبراج لدفن الموتى رائجاً بين عبدة الشـمس "الميثرائيّين". كان الميثرائيّون يعتقـدون بأنّ وضع جثمان الميت فى مكان مرتفع قريب من الشـمس يؤدى إلى عودة روحه وحلولها فى جسـد آخر وعودتها إلى الحياة الدنيا؛ لأنّ الشـمس التى تعتبر أب الطبيعة تتزوّج بالأرض وتعود الروح بذلك إلى الكائنات. يقول دلاشو فى كتاب اللغة الرمزية للأسـطورة: «لقد منحت هذه العقيـدة للميثرائيين فكرة بناء أبراج عالية داخل معابدهم.» (دلاشـو، ٢٠٠٧م: ١٠٦) ومن الممكن ألا تكون أبراج الصمت الزرادشـتيّة التـى كانت مكاناً للموتى، قد بنيت مباشـرة بعد ظهور الزرادشـتيّة ثم راج بناؤها فى دخمات الموتى عند الزرادشـتيّين. وقد بين الفرنسـى موليه خبير الدراسات الفارسيّة أنّ «الزرادشـتيّين كانوا يضعون جثامين موتاهم فى أماكن مناسـبة فى أعلى المناطق وأبعدها وبعد أن لا يبقى شـىء سـوى العظام التى تجفّ بفعل أشـعّة الشـمس، كانوا يجمعونها فى مكان يسمّى "استودان"[١] فى الجبال وبعيداً عن المياه والحيوانات. إنّ وضع الجثامين فى الدخمات أو أبراج الصمت يعود إلى عهود أحدث.» (موليه، ١٩٩٨م: ٧٢) ويمكن مشاهدة هذا الأمر فى الجبال المحيطة بتخت جمشيد وفى نقش رستم على بعد ٦ كم من تخت جمشيد.

وتعتبر دخمة رسـتم (أو مقبرة رسـتم) فى منظومة بهمننامه الشـعريّة مكاناً مقدّساً للرسـتميّين كانوا يدفنون موتاهم فيها. ويعتبر وصف إيرانشـاه لهذه المقبرة وصفاً رائعاً

١. عبارة عن حفر رباعيّة الأضلاع تحفر بشكل منتظم فى الجبال وتستخدم لوضع عظام الموتى.

وغامضاً. مكان مرتفع بين الجبال والصخور، ملىء بالمجوهرات والأشـياء الثمينة وقبّة تحتضن أروقة أربعة مقابل بعضها البعض تتدلّى منها السـتائر الملكيّة وهى مصنوعة من الذهب والفضّة والفولاذ ومنسـوجة بعقد جميلة ومزيّنة بأربطة أنيقة. داخل القبّة حجرة مظلمة. وتشاهد هذه السـتائر الجميلة الثمينة فى أبنية الميثرائيين. «ويحتوى أحد تلك المبانى على صورة لميثرا وهى مشـغولة بذبح بقرة ولذلك يغطون داخل المحراب بطبقة من الصوان وفى بعض الأحيان يضعون سـتارة على جدار المحراب ذات نقوش فنّيّة.» (فرمـارزن، ١٩٩٣م: ٥٠) «ومن المحتمل أن تكـون الظلمة التى تحيط بمكان الموتى من عائلة رسـتم إشارة إلى أنهم كانوا من الميثرائيين. ويرى دلاشو بأنّ الميثرائيين يعتبرون مقـبرة موتاهم كملجأ يشـبه الدخمة أو الخنـدق أو المدفن أى الغـار أو الحفرة داخل الصخرة والجيل كمسقط رأس ميثرا.» (دلاشو، ٢٠٠٧م: ١٠٤)

ويبدو أنّ هذا العمل كان عبارة عن إعداد للميّت لدخول الحياة الأخرى فقد كانوا يعتـبرون ذلك المكان مثل رحـم الأمّ. وتعتبر تلك الأضرحة دخمـات مظلمة محفورة فى قلب الجبل ولعلّ طريقة دفن الموتى فى مقبرة رسـتم تشير إلى أسلوب خاصّ كان متداولاً قبل المذهب الزرادشـتى. «هنالك عدد كبير من القصص التى نعتبرها روايات تاريخيّة وهى ليسـت سوى المظاهر الأخيرة للنقوش الزائلة.» (دلاشو، ٢٠٠٧م: ١١٨) إنّ دفن الموتى فى هذا النوع من الدخمات المظلمة بشـكل تشـرق عليها أشعّة الشمس فى مكان مرتفع، من الشعائر الميثرائية.

فـى منظومة بهمن نامه الشـعريّة، توجد أربعة جثامين تعود إلى عائلة رسـتم على ألـواح مزيّنة فى الدخمة. ولا تزال جثامين الرسـتميّين قابلة للتشـخيص والوصف فى مقبرة رستم بعد مضى قرون طويلة عليها. (جثامين كرشاسب، نريمان، سام، رستم)

بخوابيـده بر تخت جنگی چهار يكايک بسـان درخـت جنار
شده دور از آن سركشان فرهی چو سروی كه گردد چمن زو تهی

(بهمن‌نامه، ٧٢٣٣ إلى ٧٢٣٤، ٤٢٦)

- أربعة جثامين ضخمة كأشجار الدلب مستلقية على لوح من الحجر؛
- وقد غادرتها عظمة الملوك كما تركت عظمة أشجار السرو مروج العشب.

يصف إيرانشـــاه جثمان كرشاســـب بأنّه جســـد قوى أصبح نحيفاً كالناى وله رأس دائرىّ ولحية بيضاء ذات فرعين وخصر نحيل وصدر رحب:

يكـــى كالبد بود با شـــاخ و يال ز تيرى تنش گشـــته مانند نال
سرى گردوريشى سبيدودوشاخ كمـــرگاه باريک و ســـينه فراخ

(بهمن‌نامه، ٧٢٣٧ إلى ٧٢٣٨، ٤٢٦)

– جسد قوى وضخم حوّلته نوائب الدهر إلى نای نحيف.

– وهو ذو رأس دائرىّ ولحية بيضاء ذات فرعين وخصر نحيل وصدر رحب.

أما جثمان نريمان فهو جســـد رجل أنهكته الأيام وجعلت شـــعره يشـــيب حيث زال الأمل من العالم دفعة واحدة:

ميانش يكـــى كالبد بود مرد گل روزگارش دژم گشته زرد
جهان‌كرده‌موى‌سياهش‌سپيد بريده ز گيتى سراســـر اميد

(بهمن‌نامه، ٧٢٦٢ إلى ٧٢٧٣، ٤٢٩)

– ومن بين الجثامين، جثمان رجل أنهكته نوائب الأيام

– وجعلت شعره يشيب فأزالت بذلک كل أمل من العالم.

ويصف جثمان رســـتم وســـام بشكل جميل حيث يملک ســـام جسداً ضخماً كالجبل وصدراً واسعاً ولحية بيضاء جميلة حيث غادرته الروح ولم يبق إلاّ الجسد:

يكى كالبد ديد چون كوه ژرف برى‌بهن‌وريشى‌سبيدوشگرف

(بهمن‌نامه، ٧٢٨٣، ٤٢٨)

– وأحد الجثامين ضخم شامخ كالجبل ذو صدر رحب ولحية بيضاء جميلة.

وجثمان رســـتم ذو وجه أحمر وشعر جميل وصدر واسع وجسد كالجبل، عقد شاربه خلف رأسه وكأنّه لم يمت بل يعانى من الحمى وذراعاه وفخذاه كالحصان:

چو پيش چهارم شد آن تاجور يكـــى كالبد ديد با يـــال و بر
رخ شوخ او ديد وموى سرش بـــر و پهلوى كـــوه پيكر تنش
ببســـته همى بر قفـــا موى لب نه‌مرده‌ست‌گويى‌كه‌داردش‌تب

(بهمن‌نامه، ٧٣١٢إلى ٧٣١٤، ٤٣٠)

– أمـا الجثمان الرابـع فهو جثمان ضخم ذو وجه أحمر وشـعر جميل وصدر رحب وجسد يشبه الجبال، عقد شاربيه خلف رأسه وكأنه لم يمت بل يعانى من الحمى.

ويبـدو من هذا الوصف أن دخمة رسـتم فـى منظومة بهمننامه الشـعريّة لا تطابق أيّاً من أبراج الصمت التى كان الزرادشـتيّون يسـتخدمونها وهى تشـبه أكثر ما تشبه مقابر الفراعنة فى مصر. ومن المتوقّع أن تكون جثامين الرسـتميّين فى مقبرة رسـتم قد حنطت نظراً لبقائها سـالمة ظاهرياً. يوجد فرق ضئيل فى دفن رسـتم بين الشـاهنامة ومنظومة بهمن نامه الشـعريّة؛ فالموتى فى دخمة رسـتم يوضعون على لوح دون تابوت لكن الشـاهنامة تشير إلى وجود تابوت من خشـب الساج والمسامير الذهبيّة والشمع وذكر فى كلا الكتابين أن الجثامين لم تدفن.

يكى نغز تابوت كردند ساج برو ميخ زرين وپيكر ز عاج
همه درزهايـش گرفته بقير بر آلوده بر قير مشک وعبير

(الشاهنامة، ٢٥٥–٢٥٦، ٣٣٦، ٦)

– تابوت من خشب الساج ذو مسامير من الذهب وهيكل من العاج؛
– كافة مفاصله مطلية بالقطران المعطر بالمسک والعبير.

برابر نهادنـد زرين دو تخت بر آن خوابنيده گو نيكبخت

(الشاهنامة، ٢٧٠، ٣٣٧، ٦)

– وضعوا أمامهم هذين اللوحين من الذهب وعليهما جثمانان كأنهما غاية فى السعادة.

إنّ طريقة تلبيس التوابيت بالشـمع ووضعها على لوح لتصبح مثل المومياء، تشاهد فى إيران. «جاء فى بحث قدمه رضى فى كتاب آيين مغان (الشـعائر المجوسـيّة) حول الأديـان الإيرانيّة: كانوا يعتبرون تحنيط الجثامـين ووضعها فى تابوت من الحجر أمراً مناسـباً فى بعض المناطق الإيرانيّة وقد كان الملوک الأخمينيّون فى نقش رسـتم وتخت جمشـيد يدفنون فى توابيت من الصخر.» (رضى، ٢٠٠٣م: ٩٧) وكانت الشمس تشرق على تلک المقابر التى تقع فى قلب الجبل وفى هذا إشارة إلى الشعائر الميثرائيّة. ولعل أضرحة الملوک الأخمينيّين بقيت لفترة أطول لهذا السبب، لكن ليس لدينا علم بأضرحة الملوک الساسـانيّين الذين كانوا على الدين الزرادشـتى. يذكـر فيدن غرن فى كتاب

الأديان الإيرانيّة شعائر أربعة لدفن الموتى فى العهود القديمة.

وتتمثّل إحدى تلك الشعائر بوضع الجثامين فى مكان خاصّ لكى تقوم الحيوانات بأكلها أو تتحلّل بشكل بطىء ويضيف: لعل هذه الشعائر من السمات التى تتمتّع بها المنطقة الشرقيّة من إيران وتعود إلى القبائل البدويّة. أمّا الشعيرة الثانية فيذكر فيدن غرن بأنّها حرق الجثامين ووضع رمادها داخل أوعية من الفخار ثمّ دفنها فى التراب، ويرى بأنّ هذه الشعيرة كانت منتشرة فى المناطق الإيرانيّة الأخرى ولعلّها كانت رائجة فى المناطق التى كان سكّانها على الدين الزرادشتى قبل ظهور هذا الدين. «اكتشفت أوعية تحتوى على عظام فى تخت جمشيد وبعض المناطق الأخرى، ومن الواضح أنّهم كانوا يضعون العظام بعد زوال اللحم والجلد فى تلك الأوعية.» (رضى، ٢٠٠٤م: ١٤٦) ولذلك فإنّ دفن الموتى فى الأوعية كان يجرى بطريقتين (العظام أو الرماد). «ويذكر بختور تاش فى كتاب دورة الشمس مكاناً يقع على بعد ٥٠٠ متر من آثار طاق بستان التاريخيّة فى الشمال الشرقى يحتوى على بقايا بناء ومقبرتين من الجرار الفخاريّة. (جرار كبيرة وصغيرة تحتوى كلّ منها على جثمان واحد.).» (بختور تاش، ١٩٧٧م: ١١)

وجاء فى المصدر ذاته بأنّ أغلب الجرار الفخاريّة كانت تحتوى على هدايا إلى جانب الهياكل العظمية. ويذكر فيدن غرن طريقتين لدفن الموتى فى العهود الإيرانيّة القديمة. طريقة «الدفن والتى كانت نادرة ورغم ذلك فإن هرودوت يتحدّث عن دفن الموتى عند الماساغاتيّين ومقابر السكايين والسرمتيين بهذه الطريقة .. الطريقة الأخرى هى الدفن بعد التحنيط فى توابيت صخريّة أو مقابر ثمينة.» (فيدن غرن، ١٩٩٨م: ٦٣) «وتحدث سترابون حول هذا الموضوع فى كتاب التاريخ الفارسى القديم حيث قال بأن الفرس كانوا يقومون بتحنيط الموتى قبل دفنهم ولم يكن دفن الموتى عند المغيين ممكناً قبل أن تلتهم الطيور أجسادهم.» (بيرنيا، ٢٠٠٧م: ١٢٦٢) «وقد كانت قبور الأخمينيّين كقبر كوروش على شكل أبنية جملونية وجاء فى كتاب كوروش بأن كوروش أوصى أولاده: يا أولادى، عندما أموت فلا تضعوا جثمانى لا فى الذهب ولا فى الفضة، بل ادفنونى تحت التراب بسرعة.» (شاندور، ١٩٩٧م: ٤٢٣) ويشير ذلك إلى أن الموتى فى العهود القديمة كانوا يدفنون فى دخمات ومقابر من الذهب أو الفضّة أو الأحجار

الباهظة الثمن مثل فراعنة مصر. ويرى سترابو بأنّ أولاد كوروش لم يستمعوا لنصيحته فقاموا بدفنه فى ضريح فاخر. ويصف سترابو جمع المعزين فى ضريح كوروش على هذا الشكل: رأوا أنفسهم داخل الضريح فى ظلمة مطلقة، داخل ضريح ليس له نافذة. «دفنت نساء كوروش فى تابوت من الذهب على لوح ووضعت عليه سيوف فارسيّة صغيرة وأطواق وأقراط من الأحجار الكريمة الباهظة الثمن وسندس وكتان من بابل؛ ... فوق بعضها البعض.» (رضى، ۲۰۰۳م: ٤٤)

وفى كلتا الحالتين نقل أن كوروش لم يكن زرادشتيّاً؛ لأنّه لم يدفن كبقيّة الموتى بل بصورة مشابهة للدفن فى مقبرة رستم. ونظراً لأنّ فتحة ضريح كوروش تطلّ على الشرق وهو مرتفع عن الأرض بواسطة الحجر فمن المحتمل أنّه دفن حسب الشعائر الميثرائيّة مثل رستم. ويشير بنونيست إلى تحنيط الموتى لدى الفرس لكنّه لم يتحدّث عن دفن الجثامين المحنّطة فى أماكن مثل الأضرحة الفاخرة.

يقول: «كان الفرس يدفنون موتاهم تحت التراب بعد تحنيطهم بالشمع.» (بنونيست، ۲۰۰۷م: ۳۳) ولعلّ اختلاف وجهات النظر هذا ناجم عن أن «بعض القضايا تعتبر غامضة عند الفرس وهم لا يتحدّثون عنها بشكل واضح ويراعون فيها جانب الحذر ومنها النقوش الموجودة فى باب الموتى.» (رضى، ۲۰۰۳م: ۲۳) وكما ذكرنا فلم يدفن الموتى فى دخمة رستم بالتراب وهم موجودون فى دخمة أشبه بالقصر ولم يوضع على جثامينهم سوى ملاءة من القماش. ويبدو أن الجثامين المحنطة فى دخمة رستم تشبه ما أبرزه فيدن غرن فى وجهة نظرة مع فرق ضئيل وهو أنّها لم تدفن فى توابيت حجريّة أو أضرحة فاخرة، بل حنطت ووضعت ضمن ضريح فى صخرة مرتفعة ومعها المجوهرات الكثيرة. إنّ أسلوب دفن الموتى الذى يتحدّث فيدن غرن حوله هو أن الموتى كانوا يدفنون بالتراب بعد تحنيطهم فى تلك الأضرحة الفاخرة.

ويعود تحنيط الجثامين إلى الاعتقاد الذى كان سائداً أنذاك بالحياة بعد الموت فقد كان الناس يعتقدون بأن الروح بعد الموت تحلّ فى جسد آخر أو كائن آخر كالحيوان أو النبات وتستمرّ فى الحياة. يقول إلياده: يقول من يعتقدون بهذا الأمر بأنّ الروح بعد تطهّرها «تنضم إلى الخلود والأبديّة وهذا الأمر عبارة عن سموّ للمقتضيات البشريّة

وتكرار للحالة غير المشروطة وغير المقيّدة وهو متقدّم عن السقوط فى الزمان والتقييد فــى عجلــة الوجود.» (اليــاده، ۲۰۰۷م: ۹۳) ويظهر هذا الأمر فــى تحنيط الموتى عند الفراعنــة المصريّين حيث «يوضع جثمان الميت فى قــبر عادى يكون عبارة عن حفرة بيضويّة الشــكل قليلــة العمق فى رمال الصحراء. يوضع الجثمان بشــكل محدب بحيث يكــون الرأس باتجاه الجنوب والوجه باتجاه الغرب والشــمس ... كان الفراعنة يؤمنون بالحياة بعد الموت.» (باتنام، ۲۰۱۰م: ۱۱) كان الفراعنة يؤمنون بأنّ الإنســان ينبغى أن يدفن فى الطبيعة كما كان فى رحم أمّه لكى يستعيد الحياة. ونلاحظ نظريّة التقمّص عند البوذيّين (انضمام الروح إلى النيرافانا بعد دورات عديدة) وعند الهندوس والميثرائيّين.

وكان الفــرس فــى القــديم يؤمنون بالتقمّص كذلك. ويشــير فره وشــى فى كتاب "إيرانوفيتش" إلى وجود شعبين مختلفين فى هضاب قرية سيلک فى كاشان (فى القرنين ۹-۱۰ قبــل الميلاد) ويضيف: «وجدت فى تلك المنطقــة حضارتان مختلفتان كان لكلّ منهمــا عادات وتقاليد وثقافــة مختلفة. هنالک فى قرية ســيلک بالقرب من قرية يعود ماضيها إلى ما قبل الســكان المحليّين، آثار حصن قوى ذى قصر ومنطقة سكنيّة ومقبرة. لم يكن الموتى من القوم الذين انضمّوا حديثاً إلى المحليّين يدفنون فى أقبية سكنيّة بل فى المقبرة، كما كانت تدفن معهم مســتلزمات حياتهم مثل الجرار الفخاريّة والخوذ والزينة ومستلزمات الحصان.» (فرهوشى، ۱۹۹۵م: ۳۰ و ۳۱)

ويمكن الآن مشاهدة آثار دفن الموتى المحليّين (قبل دخول الآريّين) فى قعر حجرات ســكنيّة كانوا يعيشون فيها وذلک فى هضاب قرية سيلک. ويضيف فره وشى أنّ القوم الذيــن كانوا ينضمّون حديثــاً إلى المحليّين، كانوا يدفنون موتاهم فى المقبرة بحيث كانوا يقيّــدون أيديهم بأرجلهم على الصدر ويدفنون معهم مســتلزمات حياتهم لكى يكونوا على استعداد للحياة التالية.

ويقول فرهوشى فى كتاب إيرانوفيتش بأنّ الأقوام الجدد «كانوا يعتبرون القبر منزلاً للآخــرة فكانوا يضعــون عليه الأحجار والألواح الطينيّة على شــكل مقوس وجملونى حيــث كان هذا الأمر يمثّل اســتمراراً لتقاليــد بناء المنازل فى المناطــق الممطرة حيث كانوا يقطنون. إنّ أســلوب بناء الســقوف هــذا كان موجوداً فى القبــور الأولى للعهد

الأخمينّـى كضريح كوروش الكبير.» (فرهوشـى، ١٩٩٥م: ٤٢) «ومن المحتمل أن تكون تلك المناطق الممطرة واقعة على السـاحل الغربى والجنوبى لبحر الخزر.» هنالک نصّ فى كتاب الأديان الإيرانيّة لبنونيست يعتمد على نصوص يونانيّة موثّقة حيث يؤكّد على هذا الأمر وينسبه إلى الفرس والكاسبيّين والبلخيّين قائلاً: «كان ذلک من شعائر القبائل الفارسيّة القديمة فى السهول الشمالية التى كانت تحتضن البدو الرحل، وكان هذا الأمر ضروريّاً نظراً للوضع المناخى وأسـلوب المعيشـة وكان ينجز على شكل شعائر دينيّة.» (بنونيسـت، ٢٠٠٧م: ١٨ و ١٩) ويستند بنونيسـت إلى مستند مثير «يطلب أحد العبيد الفرس واسمه يوفراتس من سـيّده فيلونيموس ألاّ يجعل النار تمسّ جسـده لأنّه فارسى وأجداده من الفرس وذنب تلوّث بالنار بجسـده أقسى من الموت، ويطلب منه أن يدفنه بالتراب وألاّ يرشّ على جسـده ماء الطهارة لأنّه يقدّس الماء.» (بنونيسـت، ٢٠٠٧م: ٢١) يثبت هذا المسـتند أنّ الفرس كانوا يدفنون موتاهـم بالتراب كما يظهر بأنّ النار كانت مقدّسة قبل ظهور الدين الزرادشتى؛ لأنّ الفرس هاجروا من المناطق الباردة إلى نجد إيران كما كانوا يقدّسـون النار ثم قبل الزرادشتيّون تقديس النار فى ديانتهم فيما بعد. وينقل بنونيست عن هرودوت؛ كان المجوس وليس الفرس يضعون جثامين موتاهم لتأكلها الحيوانات والطيور؛ أمّا دفن الموتى فهو من الشـعائر الفارسـيّة التى تمّ التخلى عنهـا بالتدريج فيما بعد. ولعلّه قـد تمّ التخلّى عن دفن الموتى بالتراب مع ظهور الدين الزرادشـتىّ ودفنهم على الطريقة الزرادشتيّة؛ لأنّ المياه والتراب والنار عناصر مقدّسة عند الزرادشتيّين ويعتبرون أنّ تلوثّها بجسد الميّت ذنب وقد كان دفن الموتى عندهم على الطريقة الفارسيّة أمراً صعباً.

ويبيّن فيـدن غرن فى كتاب الأديان الإيرانيّة بأنّ الموتـى كانوا يحرقون كما كانت الدخمة هى كومة الحطب التى كان الموتى يحرقون عليها وذلک فى العهود الأقدم عندما كان الهندوس والفرس يعيشون مع بعضهم أى قبل دخول الأقوام الفارسيّة إلى إيران.

النتيجة

كانـت تقاليد دفن الموتى فى كلّ عهد فى إيران تجرى ضمن شـعائر خاصّة، وتعتبر هـذه القضيّة (دفن الموتى) مـن القضايا التى حظيت بالاهتمام منذ الماضى البعيد. وإذا

أخذنا بعين الاعتبار المواضيع التى أنف ذكرها حول دفن الموتى فى إيران القديمة بالإضافة إلى طريقة الدفن فى مقبرة رستم المذكورة فى منظومة بهمن نامه الشعريّة، فسوف نستنتج بأنّه من المحتمل أن يكون الرستميّون قد آمنوا بالحياة بعد الموت وهذه العقيدة تعود إلى العهد الفارسى القديم "الميثرائيّين".

ولو أخذنا بعين الاعتبار ما ذكر فى الشاهنامة حول دفن الموتى فى مقبرة رستم وتربية الزال على قمة الجبل (بالقرب من الشمس) بواسطة العنقاء وعدم اعتناق العائلة الرستميّة للدين الزرادشتى (ويظهر هذا الأمر فى الشاهنامة عندما يقوم كشتاسب بتقييد اسفنديار بالسلاسل ظناً منه بسوء نيّته ثمّ يذهب ضيفاً إلى الزال ورستم فى سيستان؛ لأنّه كان يريد تعليم الزندية والأوفيستا إلى الرستميّين) وهذا الأمر يبيّن أن الرستميّين لم يكونوا على الدين الزرادشتى بل على دين آخر.

برآمد بسى روزگاران بدوى كه خسرو سوى سيستان كرد روى
كه آنجا كند زنده واستا روا كند موبدان را بدانجا گواه

(الشاهنامة، ٩٨٠-٩٨١، ١٣٣، ٦)

- فى تلك الأيّام القديمة ذهب خسرو إلى سيستان.
- لكى يحيى الأفيستا ويعلّمها هناك إلى الكهنة والرستميّين.

ولم يذكر فى الأفيستا اسم رستم بل يذكر كرشاسب كثيراً فيها كما ذكر رستم فى الشاهنامة لأن الزرادشتيّين لم يقبلوا رستم ورستم كان خادماً للشمس والشكر الذى كان الأبطال يقدّمونه للشمس بعد كلّ انتصار وقسمهم بالشمس وميثرا، كلّها تشير إلى التقاليد التى كانت تلك الأقوام تمارسها. فى منظومة بهمن نامه الشعريّة، وعندما كان أبطال إيران يتحدّون مع لولو، يطلب أردشير البطل الإيرانى من كلّ من أولئك الأبطال أن يقسموا على بهمن:

به هركس يكى سخت سوگند داد به ماه وبه مهر وبدين وبه داد

(بهمن‌نامه، ١٢٢٠، ٨٨)

به نوروز پاكيزه ومهرگان به خورشيد كو تازه دارد جهان

(بهمن‌نامه، ١٢٢٢، ٨٨)

– طلب من كافّة الأبطال أن يقسموا بالقمر والعشق والعدل والنوروز الطاهر والمهرجان والشمس التى تحيى العالم.

كما أنّ قدم العائلة الرستميّة (قبل ظهور الزرادشتية بكثير) وقدم الميثرائية (عبادة الشمس) يفوق قدم الدين الزرادشتى بكثير وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد بأنّ أكثر القوم أنذاک كانوا ميثرائيّين قبل أن يكونوا زرادشتيّين. نستنتج مما تقدّم ذكره حول دفن الموتى فى مقبرة رستم والأسباب الأخرى التى أنف ذكرها بأنه من المحتمل أن تكون العائلة الرستميّة كانت ميثرائيّة قبل ظهور الزرادشتيّة.

المصادر والمراجع

الياده، ميرچا. ١٣٨٦ش. چشم اندازهای اسطوره. ترجمه جلال ستاری. الطبعة الثانية. طهران: انتشارات توس.

ايرانشاه، ابن‌ابی‌الخير. ١٣٧٠ش. بهمن‌نامه. مصحح رحيم عفيفی. الطبعة الأولی. طهران: انتشارات علمی وفرهنگی.

بختورتاش، نصرت‌الله. ١٣٥٦ش. گردونه خورشيد ياگردونه مهر. الطبعة الثانية. طهران: مؤسسه مطبوعاتی عطايی.

بنونيست، اميل. ١٣٨٦ش. دين ايرانی بر پايه متن‌های معتبر يونانی. ترجمه بهمن سركاراتی. الطبعة الثالثة. طهران: نشر قطره.

پيرنيا، حسن. ١٣٨٩ش. تاريخ ايران باستان. الطبعة السابعة. طهران: انتشارات نگاه.

جميز، پاتنام. ١٣٨٩ش. رازهای نهفته در موميايی‌ها. ترجمه محمد صادق شريعتی. الطبعة الأولی. طهران: انتشارات سبزان.

دلاشو، م. لوفلر. ١٣٨٦ش. زبان رمزی افسانه‌ها. ترجمه جلال ستاری. الطبعة الثانية. طهران: انتشارات توس.

رضی، هاشم. ١٣٨٢ش. آيين مغان پژوهشی درباره دين‌های ايران باستان. الطبعة الأولی. طهران: انتشارات سخن.

فردوسی، ابوالقاسم. ١٣٨٧ش. شاهنامه. به كوشش سعيد حميديان. الطبعة التاسعة. طهران: انتشارات قطره.

فره‌وشی، بهرام. ١٣٧٤ش. ايرانويج. طهران: انتشارات دانشگاه تهران.

موله، ماژيران. ١٣٧٧ش. ايران باستان. ترجمه ژاله آموزگار. الطبعة الخامسة. طهران: انتشارات توس.

نشاندور، آلبر. ۱۳۷٦ش. کوروش. ترجمه محمد قاضی. الطبعة الخامسة. طهران: انتشارات زرین.
ویـدن گرن. گئـو. ۱۳۷۷ش. دین‌های ایـران. ترجمه منوچهر فرهنگ. الطبعـة الأولی. طهران: انتشارات آگاهان ایده.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی